

2- التعريف بكتاب الفوائد وأهميته



كتاب الفوائد هو من أهم مؤلفات الإمام ابن القيم الجوزية، ومن أهم ما يميز الكتاب ما يلي:

1. الكتاب عبارة عن موسوعة جامعة لـ الدرر والفرائد التي استنبطها الإمام ابن القيم من تدبره للقرآن والسنة، ومن تأملاته في الحياة والكون والقلوب، وهي ثمرات علمه الغزير.
2. لا يتبع الكتاب ترتيباً تقليدياً أو موضوعاً واحداً بل هو مجموعة من المقالات والفوائد التي سجلها الإمام كما كانت تخطر على باله أو ترد عليه في أوقات مختلفة.

3. يبدأ الكتاب بقاعدة جليلة حول الانتفاع بالقرآن الكريم المواضيع المتنوعة
تتنوع مواضيعه بشكل واسع لتشمل التفسير والقرآن تدبر آيات القرآن
واستخراج معانيها العميقة.
4. كذلك نجد بعض الفوائد في الحديث والسنة بشرح بعض الأحاديث
واستنباط الأحكام والعبر منها.
5. ونجد في الكتاب فوائد نفيسة عن التربية والسلوك، وعلاج أمراض القلوب
وسبل تزكية النفس ومقامات الإيمان والإحسان.
6. العقيدة والتوحيد بيان أسماء الله وصفاته والرد على المخالفين.
7. الفقه والأصول ذكر بعض القواعد الفقهية والأصولية.
8. اللغة والأدب فوائد لغوية ونحوية وبلاغية لفهم النصوص الشرعية.

منهجية الكتاب وطريقة ابن القيم فيه:

منهج ابن القيم في هذا الكتاب يقوم على عدة خصائص:

1. المنهج التدويني: فهو مجموعة خواطر، متفرقة؛ لم يكتبه بناءً على خطة
موضوعية مسبقة.
2. الاستدلال بالنص: يعتمد بشكل أساسي على نصوص القرآن والسنة
ويجعلها منطلقاً لكل فائدة ثم يشرحها ويستنبط منها.
3. التحليل والتقسيم: يكثر من استخدام أسلوب التقسيم المنطقي والتفريع
للمسائل لتبسيطها مثل تقسيم شروط الانتفاع بالقرآن إلى مؤثر ومحل قابل

وشرط وانتفاء مانع.

4. المقارنات: يعقد مقارنات تربوية وعقدية مفيدة مثل المقارنة بين حال القلب الحي وحال القلب الميت.
5. الكتاب ليس مرتباً على أبواب أو فصول، بل يجمع مقاطع متفرقة، كل مقطع يحمل فكرة مستقلة، قد تطول أو تقصر.
6. مزج بين العقل والروح: يقدم تحليلاً عقلياً عميقاً لأمراض القلوب والسلوك، مقروناً بتجارب تربوية.
7. أسلوب بلاغي: اعتمد الجُمْل القصيرة ذات الصياغة المحكمة، وفيها استعارات وتشبيهات قوية تجعل المعنى راسخاً.
8. التدرج في بناء الفكرة: كثير من الفوائد تبني على بعضها؛ يبدأ بفكرة صغيرة، ثم ينتقل إلى ربطها بمسائل الإيمان والعبودية.
9. حضور قوي لكلام وشخصية شيخ الإسلام ابن تيمية، وهذا واضح في الكتاب لتأثره الشديد بشيخه – رحمهما الله –.

مميزات الكتاب:

1. يعد من أعمق كتب ابن القيم في معالجة أمراض النفس، وتزكيته وترقية وتنقية الإيمان في القلوب.
2. يقدم وصفات عملية لعلاج الكسل والفتور، وضعف الإيمان.
3. البلاغة الإيجاز فكل فقرة تحمل معانٍ كثيرة بكلمات قليلة، وهو ما جعل

الكتاب مرجعاً لكثير من الدعاة والباحثين.

4. تنوع موضوعاته: فهو يمزج بين الفقه والتفسير والسلوك واللغة، مما يجعله ثرياً ومتنوعاً.

5. أسلوب ابن القيم فيه حرارة إيمانية يلمسها القارئ سريعاً.

6. لا يكتفي بالنصح، بل يفسر أسباب ضعف الإيمان والانحراف عن الصراط المستقيم وطريقة العلاج بشكل عملي.

7. يُعتبر الكتاب خلاصة لتدبر ابن القيم حيث يستخرج من النصوص معانٍ لم يسبق إليها تُظهر فقهه وعمق نظره.

8. بالرغم من عمقه فإن كل فائدة مستقلة بذاتها مما يسهل قراءته متقطعاً دون الحاجة إلى التزام بتسلسل الفصول.

ما وجه للكتاب من نقد:

مع كون الكتاب عظيماً، وفوائده جمة؛ إلا أن الباحثين يذكرون بعض الملاحظات:

1. غياب البناء الموضوعي: لعدم وجود أبواب أو فصول يجعل القارئ أحياناً ينتقل بين أفكار لا رابط بينها (ولعل عذر ابن القيم أن الكتاب عبارة عن مجموعة خواطر وتأملات).
2. قد يجد القارئ الذي يبحث عن تناول منظم لموضوع واحد صعوبة بسبب طبيعة الكتاب المتناثرة بين مواضيع مختلفة.

3. تكرار بعض المعاني :بسبب أنه مجموعة خواطر، فقد تتكرر بعض الأفكار بصيغ مختلفة.
4. الأسلوب البياني والبلاغي الراقي جداً: مما يصعب فهمه على المبتدئين.
5. وجود عبارات تحتاج إلى أن تُفهم ضمن منهج ابن القيم العام، وإلا قُرئت قراءة غير صحيحة؛ إما لغموضها، أو عدم وضوحها.
6. قد تتسم بعض الأجزاء بـ العمق الفلسفي أو اللغوي الدقيق الذي يحتاج إلى خلفية شرعية لا يمتلكها القارئ العادي.
7. في بعض الفوائد قد يطول الشرح والتفريع بشكل قد يشتت القارئ غير المتخصص.

الفائدة من دراسة الكتاب:

دراسة كتاب الفوائد تحقق للقارئ فوائد عظيمة من أهمها:

1. تعميق الإيمان والتدبر فهو يُعَلِّمُ القارئ الطريقة الصحيحة لتدبر القرآن والسنة وكيفية استخراج الكنوز والمعاني العميقة منهما.
2. يُنشئ لدى القارئ قدرة على فهم أمراض القلب، كالحسد والرياء والكسل والفتنة، وطرق علاجها.
3. الكتاب مرجع رئيسي في تزكية النفس وإصلاح القلب حيث يقدم الإمام ابن القيم تشخيصاً وعلاجاً دقيقاً لأمراض الروح.
4. أسلوب ابن القيم يُعَلِّمُ البلاغة وقوة الحجة والدقة في العبارة وحسن ترتيب

الفكرة.

5. تزكية النفس؛ فهو يبرز قيمة الإخلاص، ومجاهدة النفس، وحسن التعامل مع الخلاف، والتجرد لله.
6. مصدر ثري للمواعظ والخطب، وبه كثير من الأفكار للاستفادة منها في الخطب والخواطر الإيمانية.
7. توسيع المدارك العلمية للقارئ للكتاب يكتسب زاداً معرفياً واسعاً في علوم العقيدة والفقه والأصول واللغة.
8. اكتساب مهارة الاستنباط من خلال مشاهدة منهج ابن القيم في استخلاص الفوائد.
9. الانتفاع العاجل يمكن الاستفادة منه ولو بقراءة فائدة واحدة يومياً حيث تقدم كل فائدة جرعة روحية أو علمية مركزة.